المحرم 1358 — السنة الاولى
مارس 1939 — الجزء الثالث

الارشاد الديني

مجلة اسلامية ثقافية
تصدر بتطوان المغرب مرة في الشهر
مديرها ورئيس تحريرها المسئول:
محمد الطنجي

☆تنبيه☆ خطب سمو الخليفة وسعادة المقيم والوزراء والزعيم الطريس فى حفلة مجلس الاحباس وتوصلنا بخطبة مولانا الحسن العظيمة بعدطبع جل المجلة فأخرنا بعض المواد لنجعلها مسك الختام فنلفت لها نظر اخواننا في بقية مناطق المغرب

موضوعات العدد

ابن خجو

بعث الينا احد رجال العلم والدين الممتازين بهذه الترجمة القيمة التي جمعت الى تبيين قيمة ابن خجو الفذ العظيم نظره في البدع وقد اختار التوقيع بابي الوفا فنشكره على وفائه واعتنائه

ابو القاسم بن على بن خجو الحساني، نسبة الى بني حسان احد الجبال المعروفة في هذه البلاد الهبطية: عالم عامل وفقيه ورع شديد الشكيمة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، عظيم التحري لا يفتي الا بما علم؛ تفقه بفاس على مشاهير علمائها كالامام ابن غازي وابى العباس الزقاق وأبى الحسن بن هارون وغيرهم، كما اخذ عن الامام الهبطي العلم وطريق التصوف، فخرج نسخة طبق الاصل من هذا الشيخ في الثبات والرسوخ في الدين والمعرفة وقوة النفس والاجتهاد في الارشاد والنصيحة. وكان الهبطى يعظمه كثيرا ويعمل على فتاويه في الفروع الفقهية لما يعلم من

ديانته وتحقيقه للمسائل

وصفه في درة الحجال بمفتي البلاد الهبطية، وقال ابن عسكر: «زرته بداره بموضع يقال له سعادة في قمة جبال بني حسان من بلاد غمارة وأخذت عنه جملة مباركة ودعا لي بخير وامتحنني بمسألة من العلم في صغري وقال لمن حضر «ان هذا الفتى قوي الادراك لا يرضى بحرفة التقليد في دينه» فلأن يكون هو لا يرضى بذلك من باب أولى واحرى، لان الغالب على الانسان، وخصوصا اذا كان من أهل العلم والعمل كالمترجم، انه لا يذم شيئا الا وهو يجتنبه ولا يأتيه.

ثم قال ابن عسكر: «ولما تغلب السلطان ابو عبد الله الشيخ الشريف على ملك المغرب وبعث لسائر الفقهاء بالحضور، بعث اليه فوفد عليه وحمل كفنه معه، والسبب في ذلك انه كان يسئل الله أن يجعل وفاته بفاس فرأى فيما يرى النائم أن قائلا يقول له قد أجيبت الدعوة فلما قدم فاسا ايقن بوفاته، ولما لقي السلطان أعجب به وقال ما رايت فيمن رايت افضل من هذا الرجل علما وصلاحا» ومجرد اشخاص السلطان له الى حضرته دليل على ما كان له من الشهرة وعظم الصيت على بعده وانقطاعه في جبال الهبط المنعزلة، ثم شهادة السلطان له بالعلم والصلاح كافية في الدلالة على علو مقامه وصدقه واخلاصه، وهذا السلطان كان قد اوقع بزوايا المغرب لاسباب سياسية، فلو انه ءانس من هذا الشيخ تذبذبا او علم عليه سوءا لما ابقى عليه ولبطش به كما فعل بغيره، فدل ذلك على انه لم يكن من هؤلاء المتمشيخين الذين يتحيلون للدنيا بالدين والسياسة وجميع وسائل الخداع والنفاق: ومن حسن نيته في الخير وحبه للاحسان أنه - كما حكى ابن عسكر - كان يغرس دوالي العنب بيده ويجعلها صدقة ياكل ثمرها

جميع من مر بها من الناس.

وأقام ابن خجو بفاس لأن السلطان رغب منه في ذلك فما لبث ان وافاه اجله في سنة (956) وحضر السلطان جنازته وكسر الناس نعشه وحملوه اطرافا للتبرك ودفن بجوار روضة الشيخ ابن عباد داخل باب الفتوح رحمه الله.

وقد ترك ابن خجو تآليف مفيدة منها كتاب غنيمة السلماني في مسائل فقهية وتصوفية وءاخر سماه ضياء النهار، المجلي لغمام الابصار، في نصرة اهل السنة الفقراء الاخيار، وءاخرسماه النصائح فيمايحرم من الانكحة والذبائح وموضوعه ظاهر من اسمه وشرح نظم بيوع ابن جماعة لابي زيد التلمساني المعروف بالسنوسي، وكتابه ضياء النهار انما هو مختصر من كتابه غنيمة السلماني ضمنه مسائله التصوفية قائلا ليسهل نسخه على كل فقير وقد رد فيه على المنكرين المبدعين للفقراء المتصوفين ولاسيما الشيخ ابي عبدالله الفشتالي فانه يتتبع كلامه في رسالته (اقامة الحجة) تتبعا يكاد يكون حرفيا رادا عليه جميع ما انتقده على متصوفة زمنه.

ومع ان الفشتالي على حق فيما ينتقده من احوال واعمال القوم، فهو يستشهد في الكثير بأحاديث غير ثابتة وبأقوال بعض العلماء كالغزالي وغيره وقد لا يستشهد بشيء في حين أن المسألة لها دلائل من الكتاب وصحيح السنة واقوال الصحابة والتابعين وغيرهم من السلف الصالح، ولكن هذا النقص لم يبرأ منه ابن خجو نفسه، فرده في الغالب انما يستند الى اقوال الناس والى ادلة سلبية من نحو النهي عن ظن السوء بالمسلمين وطلب التماس المعاذير لهم وكون الابتداع غير قاصر على المتصوفة ونحو ذلك، ولولا ما يلزم من بيان الحق في هذه المسائل بالحجة والدليل وما يقتضيه

ذلك من التوسع والطول، لجلبنا من كلام هذين الفاضلين ما يقف به القاريء على اسلوبهما في الكتابة والنقد.

نعم ننقل من شرح ابن خجو لنظم البيوع هذه الفذلكة المهمة التي عدد فيها كثيرا من البدع الشائعة في زمنه وندد بها كما يرى القاريء تبصرة وذكرى لأولي الالباب، قال:

«ومن البدع المحرمة اختلاط الرجال والنساء في الاعراس والمجامع المحرمة ونحوها وهن باديات الزينة رافضين قول الله سبحانه قل للمومنين يغضوا الاية، (ومن البدع المحرمة) النياحة وضرب الخدود وشق الجيوب وحلق الشعر ورفع الصوت بالويل والثبور، والمواجرة على ذلك من اعظم الفجور، (ومن البدع المحرمة) الوشم واطلاع الفاسق الوشام على محاسن حرائم اهل الاسلام، (ومن البدع المحرمة) ابرام احكام مخالفة لشريعة النبي محمد عليه الصلاة والسلام بين المتنازعين من الانام، (ومن البدع المحرمة) تعظيم الحاجوز وذلك مذموم لا يجوز (ومنها) تعليق الخيوط والخرق في العيون لينجو الشارب بها من القدر وءافات الجنون (ومنها) ذبح الحيوان على رجل المريض كعلى اساس البيوت ونحوها، (ومنها) اقتناء دم الاضاحي للتداوي والتبرك به (ومنها جعل العجين او الدقيق او الملح في فم الاضحية (ومن البدع المحرمة) التعري وابراز العورة واظهارها للغير في الانهار والبحر ونحوه (1) اذ لا يحل ذلك سوى من الزوجة للزوج الخ (ومن البدع المحرمة) الاشتغال والاعتناء بحفظ حروف القرءان وتحصيل رواياته قبل تحصيل فرض العين (ومن البدع المحرمة) اخذ خطة من خطط الاسلام بالميراث من غير استحقاق كمثل ما اذا مات قاض وترك ولدا لا يستحق

(1) رحم الله ابن خجو لم يتذكر الحمامات العمومية لانها لم تكن ببلده

القضاء فيوليه ارباب الدولة لمكانة ابيه لا لاستحقاقه ذلك بموجب الشرع او يموت المفتي ويترك ولدا لايستحق الفتوى بموجب الشرع فيعطاها لحرمة ابيه ولمكانته عند ابناء الدنيا وكذلك الشهادة وأنواع الخطط كالامارة كما اذا مات الامير وترك ولدا غير مستحق لها لضعفه عن الجهاد وتهدين البلاد واجراء العدل بين العباد الخ (ومن البدع المحرمة) النزهات المشتملة على امور محرمة كنزهات السواحل وبعض القبائل الذين يصعدون الى الجبل رجالا ونساء (ومنها) الخروج على تلك الحالة لزيارة قبور الاولياء واقامة الرحلة لزيارة مسجد من المساجد وللصلاة فيها غير مسجد مكة والمدينة ومسجد قبا والمسجد الاقصى فمن أقام الرحلة للصلاة في مسجد غير المساجد المذكورة فهو مبتدع وان تواطأ على ذلك قوم وليس هناك ولي ينزار فليمنعوا وليقاتلوا على ذلك (ومن البدع المحرمة) استعباد الاحرار وتخديمهم جبرا وقهرا في غير ما وجب عليهم لأن تخديم الولاة للرعية في مآربهم قصدا سنة فرعون الملعون الخ (ومن البدع المحرمة) اعتذار المعتذرين لمن يروم التوبة من المومنين ويامرهم باراقة الخمر وتعجيل التوبة كما أوجب الله تعالى فيقول المعتذر الملعون وكيل الشيطان: نعم هذا يكون لكن يصبر عليهم حتى يشربوا ويبيعوا ما اقتنوه وادخروه منها او حتى يصنعوا ما تأهبوا لفعله من الاعراس وحينئذ يتوبون الخ (ومن البدع المحرمة) أن يلي الرجل امامة بجاهه ومكانته فيؤاجر من يصلي عنه وينتفع هو بأحباسها أو ببعضها مجانا لجاهه ومكانته (ومن البدع المحرمة) تزين الرجال بزينة النساء والتزيي بزيهن كصبغهم الحناء في ايديهم وأرجلهم وصبغ اظافر أصابعهم وجعلهم الاخراص من الفضة او الذهب في ءاذانهم وكجعلهم الأساورة في يد العروس وكاكتحالهم بالكحل المزينة من غير ضرر كما

يذكر من الفجور والفسق المبين من تزين الرجال بأنواع زينة النساء استعدادا للواط في الامصار ومحلات الموحدين من غير نكير من الامراء ولا القضاة ولا المفتين فما هذا الا مسخ في العقول والقلوب وعمى في العيون وصمم في الآذان وبكم في الالسنة لتهاونهم بأمر ذي الجلال علام الغيوب نسوا الله فأنساهم القيام بالواجب الذي فيه نفع أنفسهم فانا لله وانا اليه راجعون (ومن البدع المحرمة) التعظيم للاحجار والتداوي بها كإخراج الصبيان المرضى من فروجها ومن عروق الشجر أما علموا أنه لم ترد به سنة في الطب وأنه لا يزيد ولا ينقص مما سبق وقضاه الله تعالى من القدر (ومن البدع المحرمة) الافتاء من غير علم ولا تثبت والقضاء بالتخمين من غير علم فمن انزل نفسه منزلة الفتيا والقضاء فقد أنزلها منزلة النيابة عن الله تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار ترجمانا بين الله تعالى وخلقه وصار يقول للخلق قال لكم الله تعالى الصواب في كذا ترك كذا والصواب في كذا فعل كذا فويل لمن لم يتثبت (ومن البدع المحرمة) ظهور لبس الحرير للرجال في الحواضر والبوادي من غير نكير (ومن البدع المحرمة التواطؤ على السكوت مع مشاهدة ترك الصلاة من البالغين والبالغات وهم اصحاء عقلاء سالمون من الجنون والآفات ممن يزعم أنه دان بدين الاسلام وءامن بالله تعالى وبالنبي محمد عليه الصلاة والسلام ولا يعارض على ذلك ولا يعادى عليه ولا يقال له كلام الخ (ومن البدع المحرمة) بيع الولاة الحوت في بطن الانهار الخ (ومن البدع المذمومة) نار العنصرة ودخانها وتعظيمها فكل من عظمها فقد اقتدى بالنصارى لانها عيد لهم وكل من عظم نارها ودخانها فقد تأسى بالمجوس (ومن البدع المحرمة) من يأتي مع صاحب له الى المسجد يوم الجمعة او نحوها فيقول لصاحبه امسك لي فرسي واقعد

لي مع حوائجي حتى أصلي الجمعة او نحوها من الصلوات أما علم أن ذلك فرض على جميعهم بالايات البينات (ومن البدع المحرمة) قول القائل هو بالعوائد المخالفة للشرع جوابا لخصمه الذي يقول انا بالله والشرع فيكفر المجرم بتلك المقالة (ومن الكفر والبدع المحرمة) قول القائل لا تصلح بلادنا ولا أمورنا ولا احوالنا بالشرع فهو قد ءاذى الله ورسوله وكفر ووجبت عليه اللعنة وكل من نسب النقص للكتاب والسنة فهو موذ لله والرسول قال تعالى «ان الذين يوذون الله ورسوله الاية (ومن الكفر والبدع المحرمة) ان يطلب ءادمي مسلم كان اوذمي شريعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم فيمنعه منها قاض او وال او قبيلة وهذا من الكفر المبين (ومن البدع المحرمة) نهي المسلم أخاه المسلم عن أمر لا يعلم حكم الله فيه او يامر بفعل او قول لا يعلم حكم الله فيه لان للامر بالمعروف والنهي عن المنكر شروطا الخ؛ ومن هنا تطرق للكلام مع الفشتالي ببعض كلامه في ضياء النهار (ومن البدع المحرمة) ظفر الشعر للصبيان على قرن الرأس ليعيش بذلك الاولاد اما علم الكافر الفاعل لذلك ان الآجال والارزاق وكل الاشياء مفروغ منها في الازل، فمن لم يتب من مثل هذا الاعتقاد فهو كافر لتكذيبه وعدم ايمانه بالقدر».

انتهت وبما كادت مع حذف واختصار يسير والله الموفق. ابو الوفا